

الذي يوجه لهذا الاصلاح ينبع اساسا من عدم الجذرية التي عولجت بها المسألة الدينية . اذ انه حين يتم بمعزل عن الاغلبية الشعبية وضد مصالحها وانماط حياتها ، وحين ينجز في ظل حراب الاحتلال ، يقود الى « انشقاق بين رجال الثقافة والفكر والفقهاء المرتبطين بالدولة ، وبين القاعدة الشعبية التي فقدت الثقة بهم » . اي انه لم يكن ، في لاجذريته وابتعاده عن الجماهير ، الا مرحلة استطاعت عبرها الفئات الطفيلية القفز الى السلطة ، واقامة الدول – الاقطار والكيانات .

هنا ، يبرز السؤال الخاص بالمرحلة الليبرالية . فلقد مرت معظم الاقطار والكيانات العربية بأنظمة حكم برلمانية ، قبل ان تبدأ سلسلة الانقلابات العسكرية . فلماذا لم تصمد التجربة الليبرالية العربية ؟

وهل هناك وبيبرالية عربية ؟

ان الشرط الاولي ، لوجود ديمقراطية برجوازية ، هو وجود الافراد الاحرار . تعميم الحرية البرجوازية ، التي تسمح ولو مكرهة ، للطبقات الاجتماعية الاخرى بالتعبير عن نفسها . ومن شروطه الاساسية تعميم التعليم ونمو الفكر النقدي . لكن ليبرالية السماسرة وكبار الملاكين العقاريين ، لم تكن لتقبل هذا التعريف لليبرالية . فكانت اولى المحاولات لتحويل التجزئة الى واقع دائم . لذلك تميز الفكر الذي انتج في ظلها ، رغم الحرية الكبيرة نسبيا التي وفرتها بكونه يستكمل مشروع « الرأسمالية التايعة » . « بقي النظام السياسي نيابيا ديمقراطيا ، طالما لم يكن هناك سياسة . انما حرب كامنة ودائمة . وهزيمة عسكرية للاغلبية » .

ان تصفية الديمقراطية ، هي تصفية الاغلبية . وحين تستبعد الاغلبية عن السياسة ، ويجري تهميشها عقليا وسياسيا وفكريا ، فان الديمقراطية تصبح شكلية ، وهي رغم شكليتها ستشكل عائقا في وجه نمو النمط الرأسمالي التابع . لذلك يجري استبدالها بالانقلاب . هنا تصل هزيمة الاغلبية الشعبية الى ذروتها ويحدد الاستهلاك نموذج الانتاج .

ان الموضوع الرئيسية التي يكشفها كتاب برهان غليون ، هي مسألة كون الاستهلاك هو الذي يحدد نموذج الانتاج . اي ان الاقتصاد القومي يتحدد من خارجه . اما البنية الطبقيية ، فانها تشهد توسعا استهلاكيا في القمة ، واقتصاد كفاف في القاعدة . هذا النموذج الاستهلاكي ، هو الذي سيحدد طبيعنة « التنمية » من جهة ، سيؤكد على الطابع القمعي الذي للسلطة من جهة اخرى . فتصبح التنمية نهبا متزايدا للاكثرية الشعبية ، وتصبح السلطة هي اداة حماية هذا النهب . ضمن هذا الواقع ، سوف يصاب الهيكل الاجتماعي برمته بالجمود وستكون التحولات ، هي اساسا ، تحولات في الطبقة الوسيطة ، من اجل مزيد